إيان كوبين | نشر في ٨ سبتمبر ٢٠٢١,

هجمات 11 سبتمبر: كيف استدارت "الحرب على الإرهاب" فعادت من حيث بدأت؟

ترجمة وتحرير: نون بوست

لقد كان اليوم في أوله حين وصلتُ ضفاف نهر بياندز الذي يجري على الحدود الجنوبية لطاجيكستان. كان البرد شديدا والظلام دامسا. استقبلني حرس حدود طاجيكستان بتودد، لكنهم كانوا ثملين، ويقومون بإجراءاتهم بوتيرة بطيئة. وعلى بعد مسافة من الطريق المتعرج لمدخل الحدود، وقف الروس – حرس الحدود الحقيقيين – وكانوا أقل ثمالة وأكثر جدية، إلا أنهم كانوا بطيئين مثل نظائرهم.

لم تكن العبّارة التي نقلتنا عبر النهر سوى بارجة مسطحة بمحرك جرار مثبت في منتصفها، تُدفع باستخدام رافعة متصلة بالمحرك الذي يمر من خلاله حبل مرساة ضخم. كان طرفا هذا الحبل السميك يصلان بين الضفتين المتقابلتين لنهر بياندز. على هذا النحو، تم سحبنا ببطء نحو أفغانستان.

بلغت العبّارة وجهتها بارتطام خفيف، وسرعان ما وطأت قدميّ الأراضي الأفغانية. لم يكن هناك أي نور على الإطلاق. ولا أعتقد أنني شهدت ظلمةً كتلك في حياتي بأسرها. كنت أحمل على ظهري حقيبة ظهر بسعة 65 لترًا تحتوي على كيس نوم وبطانة وبعض الملابس والمؤن ومعدات للطبخ. وربطت بصدري حقيبة أخرى تحمل هاتفا يعمل بالأقمار الصناعية وجهاز كمبيوتر محمول. وكانت كلتا يدي تحملان أوعية ثقيلة تحتوي على الماء النظيف.

ليس للمرة الأولى – ولن تكون الأخيرة – التي أجد فيها نفسي في مكان لا أعرف فيه شيئًا ولا اتجاها ولا أحدا، تماما مثل ما عشته في مورمانسك وبولاوايو وبغداد. خلال مسيرتي المهنية في مجال الإعلام وإعداد التقارير، كانت تلك الأماكن وغيرها الكثير محيرةً في بادئ الأمر. كان عليّ فهم مجرى الأحداث من حولي بسرعة، ثم تجميع ما أدركته في تقارير قصصية لإحدى الصحف في لندن.

لكن هذه المرة كانت الأمور مختلفة عن مهماتي السابقة، رغم أن بعضها كان صعبا للغاية. لقد دخلت منطقة من البلاد تكاد تخلو من أي شوارع حقيقية ولا توجد أي علامات إرشادية. كما أنه لم يكن هناك أي كهرباء أو مياه جارية. ببساطة، كانت الأراضي التي كنت على وشك العمل فيها غريبة للغاية.

لم أكن أقف في أرض غريبة فحسب، بل كنت أعيش وأحاول العمل في عالم تغيرت معالمه تمامًا. على بعد حوالي سبعة آلاف ميل (حوالي 11 ألف كيلومتر) غربا، كانت بقايا برجا بتروناس التوأم تحت الرماد. ولم يحص عدد القتلى الدقيق في هجمات 11 أيلول/ سبتمبر بعد. في واشنطن، كان الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش يتحدث بالفعل عن "الحرب على الإرهاب" معلنًا أن هناك "ملصق قديم من الغرب يقول: (مطلوب: حيا أو ميتا)".

لقد كانت "الحروب الأبدية" على وشك أن تبدأ.

من نوتنغهام إلى نيويورك

على غرار معظم مراسلي الأخبار، فإنني متردد من الكتابة عن نفسي. على مر ما يقرب من 40 سنة في مجال الصحافة، يمكنني عد المرات التي استخدمت فيها ضمير المتكلم "أنا" على أصابع اليد. تتمثل وظيفتي في مراقبة الأشخاص الآخرين، وطرح الأسئلة عليهم، وتسجيل ما يقولونه وما يفعلونه وما لا يفعلونه. ولكن مثل الكثير من الناس حول العالم، فإن حياتي منقسمة إلى قسمين: ما قبل أحداث 11 سبتمبر، وما بعدها.

مع اقتراب الذكرى العشرين للهجمات، كنت أتحدث مع بعض الأصدقاء والزملاء عن تجربتي في ذلك اليوم وخلال الأشهر والسنوات التي تلته. وكنت أفكر في كيفية انقشاع الضباب عن تفكيري بصدد كل ما اكتشفته عقب هجمات 11 أيلول/ سبتمبر.

في البداية، كنت منجذبا بالتقارير عن انتهاكات حقوق الإنسان التي كانت ترتكبها الحكومات الغربية يستهويني لأنني ظننتها تظليلية (ومن المعروف أن الصحفيين يحبون هذا الأمر- هناك قول مأثور قديم في غرف الأخبار مفاده: "إذا عض كلب رجلًا، هذا ليس خبرًا، أمّا إذا عض رجل كلبًا، فهذا هو الخبر").

بمرور الوقت، أدركت أن هذه الانتهاكات لم تكن تضليلية. عندما تعتقد أي دولة بأنها تحت تهديد ما، فستقدم بهدوء على انتهاك القواعد التي تدعي احترامها، والبدء بفعل أي شيء دون إحجام. وبعد ذلك، ستبذل بعض الحكومات كل ما بوسعها في سبيل التستر على جرائمها.

في سنة 2011، كنت أشغل منصب كبير المراسلين في صحيفة "لندن تايمز". وفي الساعة الثانية ظهرًا من يوم الثلاثاء الموافق 11 أيلول/ سبتمبر، كنت جالسًا في محكمة نوتنغهام الواقعة في منطقة ميدلاندز الإنجليزية، في انتظار بدء إحدى المحاكمات.

لقد كانت في الواقع إعادة لمحاكمة: كان المدعى عليه قد أدين بالفعل بضرب أم وابنتها البالغة من العمر ست سنوات حتى الموت باستخدام مطرقة أثناء سيرهما على طول ممر ريفي، وترك الأخت الأخرى، التي تبلغ من العمر تسع سنوات، على قارعة الطريق لتلقى حتفها. كانت محكمة الاستئناف قد أمرت بإعادة المحاكمة، وقد بدا الأمر برمته كحدث كبير للغاية حينها.

بعد بضع دقائق من الثانية ظهرا – أو بُعيد الساعة التاسعة صباحًا في نيويورك – لمس كتفي زميلٌ من صحيفة "لندن إيفنينغ ستاندرد" قائلا: "يريد أحد زملائك من مكتب الأخبار التحدث إليك". تلقى هذا المراسل المكالمة عبر هاتفه المحمول الذي يمكن تركه على الوضع الصامت بحيث يهتز فقط عند الاتصال به: مع العلم أن ذلك كان ابتكارا جديدا في ذلك الوقت.

أخبرني محرر أخبار في لندن أن طائرتين قد قصفتا مركز التجارة العالمي، وطُلب مني الوصول إلى مطار هيثرو في أسرع وقت ممكن. ركضت إلى فندقي لتسجيل المغادرة، وهرعت إلى موقف السيارات القريب وانطلقت مسرعا. على الطريق السريع، اتصلت بصديق في نيويورك على هاتفي، والذي أعلمني أن طائرة ثالثة قد ضربت مبنى البنتاغون للتو.

وصلت من نوتنغهام إلى هيثرو، قاطعا 130 ميلاً (حوالي 209 كيلومتر)، في حوالي 90 دقيقة، إذ كنت أقود بسرعة خطيرة بين الحين والآخر.

لم يخطر ببالي أنه قد يتم تعليق جميع الرحلات الجوية. وجدت نفسي عالقًا في مطار هيثرو لمدة لا أذكرها تحديدا – يوم؟ يومان؟ (علمت لاحقًا أن إحدى الطائرات من طراز "دي سي 10" قد استطاعت عبور المحيط الأطلسي في ذلك الوقت. وكان هذا الاكتشاف، الذي جاء بعد سنوات، مهمًا جدًا في عملي).

في النهاية، استؤنفت الرحلات الجوية إلى تورونتو. بحلول الوقت الذي صعدت فيه إلى واحدة، كنت أفكر بالفعل أنني كنت أسير في الاتجاه الخاطئ: إذا أردت أن أفهم ما حدث، ولكي أبلغ عما سيحدث بعد ذلك، يجب عليّ أن أسافر شرقًا، وربما أن أبدأ في إسلام أباد.

لم تكن هناك رحلات جوية أو قطارات متجهة من تورونتو إلى نيويورك. خرجت من محطة الاتحاد في قلب المدينة الكندية، واقتربت من أول سيارة أجرة في الموقف وسألت سائقها إذا كان على استعداد لإيصالي حتى نيويورك، في رحلة تبلغ مسافتها 500 ميل (804 كيلومتر).

وافق السائق دون تردد، واتفقنا على سعر. ثم قال إنه سيحتاج إلى العودة إلى المنزل لإحضار جواز سفره. لكنه بدا مضطربًا بعض الشيء عندما اقتربنا من منزله فسألته عما إذا كان كل شيء على ما يرام. وأوضح قائلاً إنه "لم يسبق لأي من ركابي رؤية منزلي من قبل". لقد كان يعيش في قصر. بعد ذلك، سافرنا ليلاً وعبرنا الحدود من نياغرا. بحلول الفجر، وصلتُ أخيرا إلى موقع الانفجار.

كان الناس متوترين ومرهقين وعيونهم غائرة. أصبحت المدينة بمثابة مركز تفشي وباء الصدمات النفسية. كما خيّمت عليها رائحة نتنة. كانت رائحة مدينة نيويورك مثل رائحة الفرامل الساخنة.

بقدر ما كان عدد القتلى مروعًا (ثبت مقتل 2996 شخصًا في النهاية)، افترض الكثيرون في ذلك الوقت أن الرقم سيكون أعلى من ذلك: تحدث السفير البريطاني عن توقعات تفيد بأن أعداد القتلى البريطانيين وحدهم قد تصل عدة آلاف. ومع ذلك، لم يستطع سوى قلة من الناس نعي أحبائهم في تلك الأيام

الأولى، لأنهم لم يجدوا لهم أثرا بعد؛ في كثير من الحالات، ظل إخوتهم وأزواجهم وأبنائهم وبناتهم مجهولي المصير، وبدا كأنهم قد اختفوا عن وجه الأرض.

غُطّي كل جدار ونافذة في المدينة بصور الأصدقاء والأقارب المفقودين، إلى جانب أرقام هواتف ومناشدات لأي معلومات عما حدث. ومع ذلك، كان هناك شعور واضح بالحداد، على فقدان حصانة أمريكا تحديدا. كان الناس متوترين ومرهقين وعيونهم غائرة. أصبحت المدينة بمثابة مركز تفشي وباء الصدمات النفسية. كما خيّمت عليها رائحة نتنة. كانت رائحة مدينة نيويورك مثل رائحة الفرامل الساخنة.

السفر شرقًا

بعد العمل في نيويورك لبضعة أسابيع، اتجهت شرقًا. بدأت رحلتي في موسكو، حيث حصلت على تأشيرة لدخول طاجيكستان. ثم اتجهت جنوبًا إلى عاصمة طاجيكستان دوشنبه. هناك ساعدني طالب شاب وذكي في الحصول على إذن للانضمام إلى قافلة إمداد كانت على وشك أن تُرسل إلى أفغانستان من قبل معارضي طالبان، الجبهة المتحدة الإسلامية القومية لتحرير أفغانستان- أو ما يسمى بالتحالف الشمالي.

تم الاتفاق – بعد دفع بضع دولارات – على أن أعبر نهر بينادز مع القافلة، ثم أكمل الطريق بمفردي. وهكذا وجدت نفسي أقف في الظلام على الجانب الجنوبي من النهر، بحيث لم يكن على مرأى عينيّ سوى بعض المباني الصغيرة التي استطعت لمحها بشكل ضبابي في الظلام. كنت قلقا، لكنني شعرت بشيء من الحماس أيضا.

كنت واثقًا من أن أحدا ما سيعرض العمل لدي، إذ كنت في مكان عادةً ما يتجول فيه المترجمون والمنسقون والسائقون، بحثًا عن الصحفيين الذين يدخلون البلاد. كما هو متوقع، اقترب شاب مني بعد فترة وجيزة من نزوله من العبارة وسأل بلغة إنجليزية ممتازة ما إذا كنت بحاجة إلى مترجم ودليل. كان اسمه فريد. وسرعان ما اكتشفت أن فريد كان شابا ذكيًا يتمتع بروح الدعابة والحيلة، ولم يكن بإمكاني القيام بعملي لولاه.

عملنا معًا لعدة أسابيع في شمال أفغانستان، وكان مركزنا في البداية خواجة بهاء الدين، وهي بلدة وعرة ومغبرة حيث اغتالت القاعدة أحمد شاه مسعود، المعروف باسم "أسد بنجشير"، قبل يومين من 11 أيلول/ سبتمبر. ولفترة من الوقت، رافقنا مصور مجلة "تايمز" بيت نيكولز، الذي التقط الصور التي تُجسد هذه الحادثة.

كان فريد معتزًا جدا بمسقط رأسه وادي بنجشير، وهي المنطقة التي لم يستطع الاتحاد السوفييتي ولا طالبان إخضاعها.

سافرنا إلى طالقان وقندوز، وكنا في غضون ذلك نقدم تقاريرا عن الصراعات بين طالبان والتحالف الشمالي.

في كل مرة، وفي كل مكان، لم نتمكن فيهما من الوصول إلى خطوط أرضية أو هواتف محمولة، حاول فريد البقاء على اتصال مع عائلته في بنجشير من خلال إرسال رسائل منطوقة مع سائقي الشاحنات، الذين يقومون بنقلها إلى سائقين آخرين، وهكذا على أمل أن تصل إلى بلدته وعائلته. وقد بدا ذلك طريقة فعالة للغاية لإيصال الأخبار.

لدي الكثير من الذكريات الحيّة عن أفغانستان في ذلك الوقت، بما في ذلك الطرق المعلّمة التي تدل على الممر الآمن عبر حقول الألغام، والحمّامات الجماعية، وغناء الرجال العميان على عشائهم، وجرّاح في مستشفى ميداني – الرجل الحليق الوحيد الذي رأيته في أفغانستان في ذلك الوقت – وهو يعقّم أدواته في أحواض من الفولاذ المقاوم للصدأ قبل المعركة، والأزيز الذي كان يملأ الهواء من حولي قبيل الضربات الجوية، والخندق الضحل الذي قفزت فيه لأقع على ركبتيّ بشكل مؤلم.

لقد كان مكانًا شديد الخطورة بالنسبة لصحفي. ذات يوم، كنت أتجاذب أطراف الحديث في مقهى على جانب الطريق مع الصحفي الألماني فولكر هاندلويك. وفي اليوم التالي، علمت بمقتله بالرصاص هو وصحفيين اثنين آخرين، بينما كان يستقل على ما يبدو عربة مدرعة تابعة للتحالف الشمالي.

تعرضتُ للتهديد من قبل مجموعة صغيرة من الأولاد الذين يبلغون من العمر حوالي 15 سنة، أسرع الإمام باصطحابي إلى مسجد قريب وشرح لي أنهم كانوا يطالبونني بتسليم قبعتي الدافئة، موضحًا أنني كنت مهددا حقا للتعرض لإطلاق النار.

غالبًا ما أدى تراجع طالبان إلى العودة إلى حالة من انعدام القانون التي بذلت الحركة جهدها للقضاء عليها تماما. لقد كان الأمر يسير على النحو الآتي: تنسحب طالبان من بلدة ما، فتعمّ أيام قليلة من السلام والهدوء، إلا أنه سرعان ما يبدأ اللصوص المسلحون بالخروج إلى الشوارع غير المضاءة ليلاً.

بعد عشرة أيام من وفاة فولكر، وبينما كنتُ على الخطوط الأمامية للمواجهة، التقيت بالمصور التلفزيوني السويدي أولف سترومبرغ، والذي بدا لي حينها كرجل رصين وطيب القلب.

بعد ليلة أو ليلتين، بينما كنت أسير مع إمام يتقن الإنجليزية في طالقان، تعرضتُ للتهديد من قبل مجموعة صغيرة من الأولاد الذين يبلغون من العمر حوالي 15 سنة، أسرع الإمام باصطحابي إلى مسجد قريب وشرح لي أنهم كانوا يطالبونني بتسليم قبعتي الدافئة، موضحًا أنني كنت مهددا حقا للتعرض لإطلاق النار.

بعد ذلك، يبدو أن الأولاد اتجهوا إلى منزل كان يقيم فيه أربعة صحفيين سويديين، حيث قاموا بسرقة اثنين تحت تهديد السلاح، وقتلوا ثالثا: أولف سترومبرغ.

على الرغم من خطورة أن تكون صحفيًا في أفغانستان في ذلك الوقت، فقد كان الأمر أكثر خطورة إذا ما كنت مدنيًا أفغانيًا. وفقًا لإحدى الدراسات، قتل ما بين 1000 و 1300 شخصًا في أفغانستان بسبب الضربات الجوية فقط بحلول نهاية سنة 2001.

عندما عدتُ إلى غرفة العمليات في خيمة الجراح الذي كان حليق الذقن، كان بصدد علاج عائلة أصيبت بقذيفة وقعت بجانب الطريق الذي كان أمامي مباشرةً. استلقى أحد أفراد الأسرة وهو يئن على سريره، ومظهره يشير إلى أن أسدا قد نهشه. وكان آخر مجرد جثة ملقاة على طاولة عمليات مغطاة ببطانية. بجانب الطاولة، وقف صبي في الثامنة أو التاسعة من عمره بوجه خال من التعابير. كانت يده مخبأة تحت البطانية، حيث كان يمسك بيد القتيل.

في البداية، لم تكن طالبان قوة عاجزة. كانت الحركة تمتلك المدافع والدروع، لكن وصول القوة الجوية الأمريكية والبريطانية قلب الموازين بشكل كبير، وسرعان ما قضي على سلسلة من الأهداف السهلة.

بمساعدة فريد، أدركت كيف أن الحرب في أفغانستان شملت تقليديًا سبل التفاوض والرشوة والتجارة، فضلاً عن العنف. استطعت أن أرى مقدار الوقت الفعليّ الذي يقضيه هؤلاء المتنافسون في التحدث إلى بعضهم عبر الراديو المحمول – حيث يقومون بعقد الصفقات إلى جانب التخطيط للمعارك.

عادت الشاحنة، وقفزنا لإحصاء عدد الجثث في الخلف، كان هناك تسع جثث. ولم أكن بحاجة إلى فريد لترجمة التعليقات الغاضبة من حولي والتي تقول: "لقد خدعونا".

ذات مرة، وقفت على خط المواجهة بالقرب من ولاية قندز، وشاهدت الجانبين يتفقان على صفقة سجين مقابل جثث بواسطة جهاز اتصال لاسلكي: أرادت طالبان عودة السجناء – المقاتلين الذين تم أسرهم خلال هجوم أخير على قرية مجاورة – بينما أراد التحالف الشمالي استلام عدد من الجثث الملقاة في الأرض المحايدة في واد بين تلتين خاويتان ومغبرتان. وفي النهاية، تم الاتفاق على صفقة التبادل: سيتم تسليم ثلاث جثث مقابل كل سجين حي.

عبر اللاسلكي، أبلغ قائد طالبان نظيره في التحالف الشمالي أنه رأى أجنبيا بينهم، وطلب منه التأكد من عدم وقوع هجمات من الجو أثناء التبادل. قيل له إن الرجل الذي شاهده بالمنظار كان صحفيًا من لندن، وليس له أي سلطة على الضربات الجوية على الإطلاق.

أرسل التحالف شاحنة روسية قديمة زرقاء اللون رفقة أربعة سجناء متجمعين في الخلف، وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم. وبعد فترة وجيزة، عادت الشاحنة، وقفزنا لإحصاء عدد الجثث في الخلف، كان هناك تسع جثث. ولم أكن بحاجة إلى فريد لترجمة التعليقات الغاضبة من حولي والتي تقول: "لقد خدعونا".

لم يترك أحد للقتال

في نهاية السنة، شعرت القوات البريطانية الخاصة المنتشرة في جبال الأسماي المطلة على كابول بالفزع لإدراكها أن وسائل الإعلام العالمية قد وصلت إلى هناك قبلها. وأوضح لي أحد الأصدقاء لاحقا خيبة الأمل التي شعروا بها، قائلا إن "إذا كانت الصحافة موجودة بالفعل، لكان الأمر أقل خطورة".

عندما دخلت القوات البريطانية الأولى إلى المدينة، في وقت متأخر من الليل، كانت شاهدة على قتال في الشارع بين مصورين بريطانيين يتنافسان على أفضل مكان لتوثيق لحظة وصول القوات.

بحلول شهر كانون الثاني/ يناير، بدا أن كهوف تورا بورا قد طُهّرت من مقاتلي طالبان والقاعدة. وفي وقت لاحق، أثناء تجولها في شرق البلاد، اكتشفت قوات مشاة البحرية الملكية البريطانية أنه لم يبق أحد للقتال.

كنت في كابول، وكان هناك شعور كبير بالارتياح لرحيل طالبان. وعلى الرغم من اضطرارنا للنوم على الأرض، كنت أستمتع بالهدوء الذي كان يسود المنزل الذي استأجرناه. وبدا أن الهدوء قد ساد المدينة بأكملها.

كان مترجمي في العاصمة الأفغانية ابنا رجل كان يعمل ضابطا كبيرا في المخابرات الأفغانية، الشرطة السرية أيام الاحتلال السوفيتي، ويتمتع بعلاقات جيدة مع العديد من الجهات بشكل مذهل.

في ذلك الوقت، كانت هناك حفلات استقبال في السفارة البريطانية التي أعيد افتتاحها حديثا، ومباريات كرة قدم أقيمت في ملعب غازي، حيث كانت طالبان ذات مرة تنفذ عمليات الإعدام والبتر، كما تنافس لاعبو البوزكاشي في كابول ضد فرق من وادي بنجشير. ولم أشاهد مثل هذه اللعبة المربكة والعنيفة والمثيرة في نهاية المطاف.

مع استئناف الغارات الجوية للولايات المتحدة والمملكة المتحدة، أقر بوش بالحاجة إلى تشكيل حكومة قوية في كابول، وبدأت الحكومات في جميع أنحاء العالم في تقديم تعهدات بالمساعدة، ولكن لم تلتزم جميعها بها.

بحلول مطلع سنة 2002، اقتنع البيت الأبيض بفكرة بناء الدولة. وعلى الرغم من ادعاءاته الأخيرة بعكس ذلك، كان الرئيس جو بايدن أحد أكثر المدافعين حماسةً عن المشروع. واستمرت الفوضى والجرائم الخطيرة في التوسع خارج كابول، وتواصلت الحرب لأكثر من عقدين. وكان الصراع الاجتماعي والسياسي والعرقي معقدا، تغذيه القوى العظمى والجيران الإقليميون عديمي الشفقة. وافترض العديد من سكان كابول أن القتال سيُستأنف قريبا.

قد يتحدث البعض عن هجوم الربيع المقبل. وكنت أسألهم لماذا تعتقدون أن هجوما سيحدث في الربيع. وكانوا يجيبون "لأن هذه هي أفغانستان. وهناك دائما هجوم الربيع". ما زال أمامي الكثير لأتعلمه، لا سيما عن الحقائق القديمة للحياة والموت في أفغانستان، وعن الطابع الحقيقي "للحرب على الإرهاب" الوليدة على حد سواء.

في أحد أيام الشتاء في كابول، اتصلت بالمكتب الذي أعيد افتتاحه مؤخرا لمنظمة دولية غير حكومية كبرى. وهناك، أبلغني مسؤول كبير بهدوء أن الأمريكيين بدأوا في تعذيب سجناءهم في مركز احتجاز في قندهار. حينها شعرت بالفزع. فلن يصل الأمر بالأمريكيين إلى مستوى التعذيب، على الرغم من بشاعة الجرائم التي ارتكبت في الحادي عشر من أيلول / سبتمبر. وسألته كيف علم بذلك.

أظهرت الصور أن جميع السجناء كانوا يرتدون كمامات على أفواههم، ونظارات سوداء واقية سوداء، وسدادات أذن، وقفازات سوداء سميكة. ولم تكن هذه الإجراءات أمنية، بل كان هؤلاء الرجال يتعرضون للحرمان الحسي.

أوضح أن الصليب الأحمر كان متواجدا داخل المركز، وأجرى مقابلات مع السجناء، وقد أكدت الروايات

التي قدموها على الانتهاكات التي تعرضوا لها. وكان هناك نمط معين. واعتُبر ذلك بمثابة ادعاء استثنائي لدرجة أنني اعتقدت أنني بحاجة إلى مصدر ثانٍ للتأكد. وقد بحثت بجد عن هذا المصدر الثاني، ولكن لم أتمكن من العثور عليه.

لو كنت أعرف حينها ما أعرفه الآن، لكنت أدركت أن المصدر الثاني كان أمامي طوال الوقت. وفي 11 كانون الثاني/ يناير، عندما تم جر أول السجناء بملابس السجن على الأرض في مخيّم إكس-راي، في خليج غوانتانامو، تم تصويرهم من قبل مصور البحرية الأمريكية، شين ماكوي. ثم حصلت وكالة "أسوشيتيد برس" للأنباء على خمس من صور ماكوي.

وقد أظهرت تلك الصور أن جميع السجناء كانوا يرتدون كمامات على أفواههم، ونظارات سوداء واقية سوداء، وسدادات أذن، وقفازات سوداء سميكة. ولم تكن هذه الإجراءات أمنية، بل كان هؤلاء الرجال يتعرضون للحرمان الحسي.

قد وثق الجيش الأمريكي لجوءه للتعذيب، ثم وزع الأدلة على جميع أنحاء العالم. ولكن مثل البقية، لم أكن مطلعا بما يكفي على هذه الأمور لأتمكن من فهم أهمية ما كنت أشاهده. ولم أدرك في ذلك الوقت أنني كنت أشاهد صور رجال يتعرضون للتعذيب.

في شهر آذار/ مارس، بدأ الهدوء بالتلاشي. فقد اندلع القتال في أفغانستان مرة أخرى، كما توقع الناس في كابول. وجدّت اشتباكات بين القوات الأمريكية وطالبان وقوات القاعدة بالقرب من غرديز في جنوب شرق البلاد على بعد أميال قليلة من الحدود مع باكستان.

ولكن بحلول ذلك الوقت، تحولت أنظار الجميع إلى مكان آخر. فقد بدت الإطاحة بحركة طالبان سهلة، كما أن ردود الفعل على أهوال الحادي عشر من سبتمبر كانت غير كافية بالمرة. وصرح كل من بوش، وتوني بلير، والبنتاغون، ووسائل الإعلام العالمية قائلين: لقد كنا جميعا نتطلع إلى العراق. وكنا نستعد

للحملة القادمة من الحروب الأبدية.

غزو العراق

في وقت لاحق من تلك السنة، وبعد فترة قصيرة من تغطية آخر التطورات في الضفة الغربية وقطاع غزة، وقيامي بتغطية مباريات كأس العالم لكرة القدم في اليابان، أُرسلت إلى العراق لمتابعة الغزو.

زرت البلاد أول مرة في سنة 1998، عندما كنت أقود سيارتي عبر الصحراء الغربية للإبلاغ عن حملة القصف التي استمرت أربعة أيام والتي شنتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ضد أهداف في جميع أنحاء البلاد.

وقع تبرير هذه الهجمات بعدم تعاون صدام حسين مع مفتشي الأمم المتحدة الذين يبحثون عن أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها. لقد كانت تلك التجربة مثيرة للاهتمام، حيث كنت متواجدا في الطرف المتلقي لضربات سلاح الجو الملكي. عدت مجددا إلى العراق في سنة 2002، حيث تزعم الحكومة البريطانية أن أجهزتها الاستخبارية أظهرت "بالدليل القاطع" أن صدام حسين كان ينتج أسلحة كيماوية وبيولوجية.

سافرت من عمان وقضيت عدة أسابيع وأنا أتنقل داخل جميع أنحاء البلاد، وعملت مرة أخرى مع بيت نيكولز، وأبلغت عن الطريقة التي كان الناس يستعدون بها للحرب التي لا مفر منها.

على غرار جميع الصحفيين الذين يزورون العراق البعثي، كُلفنا بمرافقة وزير الإعلام، وقد رافقنا شرطي سري ناطق باللغة الإنجليزية في كل مكان ذهبنا إليه، وكان يكتب تقريرا عن أنشطتنا كل مساء.

يوميا، بينما كانت غرف الفنادق التي حجزناها تخضع للفحص، كان مسؤول حكومي يفتشها بعناية (أعرف ذلك لأن صحفيا بريطانيا مغامرا قام بتصوير عمليات البحث سرا). وفي إحدى الأمسيات، عندما كنت أتناول السمك في مطعم في الهواء الطلق على ضفاف نهر دجلة، انحنى معلمي نحوي وهمس في

أذني "أنت تعرف إيان، لا توجد أسلحة دمار شامل. لقد كانت موجودة في السابق، ولكنها غير موجودة الآن. صدقني، أنا أعلم ذلك".

لم أثق به. لقد كان يتجسس علي في الواقع. علاوة على ذلك ، لم أستطع أن أقبل بسهولة أن صدام سيمنح الأمم المتحدة فرصة – إلى حد إقدام الولايات المتحدة وحلفائها على غزو البلاد – لإخفاء ما لم يكن يمتلكه، بدلا من إخفاء ما فعله. ولقد كنت مخطئا تماما، ولم تكن هذه المرة الأولى ولا الأخيرة.

خلال سنة 2002، لم أتقبل أبدا ادعاء حكومة المملكة المتحدة، الذي قدمته على مدار السنة، بأنه لم يتم اتخاذ أي قرار بشأن ما إذا كانت ستخوض حربا مع العراق.

ولكنني أعترف، بشكل يمس من مصداقيتي، بأنني ركنت أرغب في تجاوز الأمر. وذلك ليس لأنني اعتقدت أن نظام صدام سيء (رغم أنني كنت أعتقد ذلك حقا)، ولا حتى لأنني اعتقدت أنه ما زال يشكل تهديدا للأمن الإقليمي. بل ببساطة، كنت على يقين بأننا سنخوض الحرب مهما حدث، وكنت أدرك أنني مطالب بتقديم تقرير عن تلك الحرب. لقد كنت أرغب في الابتعاد عن هذه المهمة.

بعد بضعة أشهر، كنت متوجها نحو العراق مرة أخرى، وهذه المرة من الكويت، حيث بدا أن الفنادق تعج بآلاف عمال البناء الأمريكيين الأشداء، في انتظار التحرك شمالا للمساعدة في إعادة بناء البلاد.

عبرت الحدود على إثر القوات البريطانية التي كانت تشق طريقها إلى البصرة.

وفي قصر صدام على ضفاف شط العرب، صادفت طابورا من السجناء العراقيين، راكعين في الشمس، ورؤوسهم مغطاة وأيديهم المقيدة بأصفاد بلاستيكية خلف ظهورهم.

عدت بعد ساعات قليلة وكان السجناء هناك راكعين على أرجلهم بشكل مستقيم ورؤوسهم مغطاة، تحت أشعة الشمس الحارقة. واقترب مني اثنين من مسعفي الجيش البريطاني وأكدا أنهما قاما للتو بإنعاش سجين كان يخضع للاستجواب من قبل القوات الخاصة في قبو أحد المباني في المدينة.

في ذلك الوقت، كان الجنود ومشاة البحرية البريطانيون يسيطرون على المدارس الابتدائية في البصرة، ويستخدمونها كقواعد عسكرية.

قالا إنه كان هناك عددا من السجناء، وكانت رائحة المكان كريهة تفوح برائحة البول والدم والقيء. وهذا لا يشبه عمليات التعامل مع الأسرى التي شهدتها على الحدود السعودية الكويتية خلال حرب 1991.

في ذلك الوقت، كان الجنود البريطانيون يعتنون جيدا بسجنائهم العراقيين، الذين تعرضوا لصدمة نفسية ومعاملة سيئة بعد أسابيع من القصف الجوي. لقد قدموا لهم الماء والمأوى، وسمحوا لهم بالتدخين قبل نقلهم.

في ذلك الوقت، كان الجنود ومشاة البحرية البريطانيون يسيطرون على المدارس الابتدائية في البصرة، ويستخدمونها كقواعد عسكرية. وخارج عدد من هذه المدارس، بدأت تتشكل طوابير من الرجال الذين يحملون الدلاء والزجاجات لتعبئة الماء.

أوضحوا لي أن التيار الكهربائي انقطع ولا توجد مياه جارية. وأضاف أحدهم أن "الأمر لم يكن كذلك في عام 1991 أو 1998. وقال مشيرا إلى إيران: "لم يكن الأمر كذلك عندما كنا نحاربهم".

كان البريطانيون بالطبع يمتلكون كهرباء وفيرة بفضل مولداتهم. وذهبت لرؤية ضابط مسؤول عن اللوجستيات والإمدادات، وشرحت له ما يجري خارج قاعدته. وأوضح أن مهمة وحدته كانت تتمحور حول طرد الجيش العراقي والميليشيات البعثية، ولكن تم الانتهاء من هذه المهمة. وقال مازحا: "قد نعود إلى أرض الوطن بحلول شهر نيسان/ أبريل".

بدأت عصابات اللصوص تجتاح المدينة، أغلبها من الفتيان الصغار، الذين كانوا يزيلون أي قطعة معدنية أو أسلاك يجدونها، وهذا ما تسبب في انقطاع التيار الكهربائي. وفي ظل انعدام الأمن وغياب الشرطة وعدم توفر السجون، تبنى الجنود البريطانيون المرهقون سياسة أطلقوا عليها اسم "التبلل"، عن طريق إلقاء اللصوص في شط العرب، حتى يضطروا للعودة إلى منازلهم، وارتداء ملابس جافة، والتوقف عن السرقة لفترة من الوقت. ولكن غرق عدد منهم حتما.

لم يقع مشاهدة مقاولي البناء الأقوياء، الذين كانوا يتسكعون حول فنادق الخمس نجوم في مدينة الكويت، في أي مكان. ويمكن لمراسلي الحرب أن يكونوا أشخاصًا ضيقي الأفق بشكل يثير الفضول. وفي كثير من الأحيان، يمكنهم الإبلاغ فقط عما يرونه، ويعتبر ما يسمى "بالصورة العامة" أمرا بعيد المنال، وأحيانا يكون الوصول إليها أكثر سهولة بالنسبة للأشخاص الذين يراقبون من بعيد.

لذلك، عندما اتصل بي محرر صحيفة "التايمز" على هاتفي المتصل بالأقمار الصناعية، لسؤالي عن كيفية سير الحملة، أجبته قائلا "حسنا، بالنظر إلى ما يحدث أمامي، يجب أن أقول إنني لا أعتقد أن الأمور تسير على ما يرام على الإطلاق".

في مطلع شهر أيار/ مايو سنة 2003، نقل الرئيس بوش إلى حاملة الطائرات الأمريكية "يو إس إس أبراهام لينكولن"، حيث ألقى خطابا أعلن فيه أن حركة طالبان "دمرت" وأن العمليات القتالية الرئيسية في العراق قد انتهت أيضا.

وأضاف: "في معركة العراق، انتصرت الولايات المتحدة وحلفاؤها". تفاعل البحارة والطيّارون مع ذلك بالتصفيق والصراخ. وبرزت خلفه لافتة ضخمة كُتب عليها: "أنجزت المهمة". أُلقي الخطاب بالقرب من ساحل سان دييغو، على بعد آلاف الأميال من الشرق الأوسط.

الكشف عن التسليم

في سنة 2005، بعد أن عملت كمحرر أخبار في التايمز، انضممت إلى صحيفة الغارديان من أجل العودة إلى إعداد التقارير. في أول يوم لي في هذه الوظيفة الجديدة، اتصلت بصديق في واشنطن العاصمة لأمنحه عنوان بريدي الإلكتروني الجديد، حينها سألني بيل: "هل قرأت الصفحة الأولى من نيويورك تايمز اليوم؟"

لقد أثبتت الصحيفة أن وكالة المخابرات المركزية قد أنشأت سلسلة من المنظمات الواجهة في ولاية كارولينا الشمالية. ومن خلال هذه الشركات، امتلكت الوكالة عددًا من الطائرات النفاثة التي كانت تقلّ السجناء في آسيا الوسطى والشرق الأوسط، وتنقلهم إلى سجون سرية حول العالم. تلك كانت رحلات التسليم.

كما سألني بيل: "إذا كانوا يسافرون من ولاية كارولينا الشمالية إلى الشرق الأوسط، فيحتاجون إلى التزود بالوقود في مكان ما. أين تعتقد أنهم يفعلون ذلك يا إيان؟"

لقد كان محقا. في النهاية، من خلال تتبع أرقام الذيل للطائرة، تمكنت من إثبات أن وكالة المخابرات المركزية قد طارت من وإلى المملكة المتحدة 210 مرات على الأقل في السنوات الأربع منذ أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، باستخدام 19 مطارًا مختلفًا وقواعد سلاح الجو الملكي البريطاني.

من جهتها، نفت الوكالة وجود أي محتجز على متن الطائرة عند طيرانها من المملكة المتحدة وإليها، ولم يظهر أي دليل يتعارض مع ذلك. في المقابل، لا ينطبق الأمر ذاته على القاعدة الأمريكية في دييغو غارسيا، وهي جزيرة تقع في إقليم المحيط الهندي البريطاني، وهي الوجهة التي يقع نقل المعتقلين إليها، والمكان الذي يزعم أنهم محتجزون به.

بحلول ذلك الوقت، كانت وسائل الإعلام الأمريكية تعمل على تقويض السرية التي تحيط بالتسليم السري وإساءة معاملة المشتبه في أنهم إرهابيون – أو اختطافهم وتعذيبهم، لاستخدام عبارات واضحة- متعمقةً في موضوع السبق الصحفي الذي لم أتمكن من تغطيته في كابول في كانون الثاني/ يناير 2002.

مع نهاية السنة، كانت هناك لحظتان فاصلتان في تاريخ المملكة المتحدة. أوّلاً، حين قضت لجنة الاستئناف التابعة لمجلس اللوردات – والتي كانت تسمّى حينها المحكمة العليا – أن المحاكم الأدنى لا يمكنها الأخذ بالأدلة التي ربما تكون قد انتُزعت تحت التعذيب. وقالت الحكومة إن لجنة الاستئناف الخاصة بالهجرة يمكنها النظر في مثل هذه الأدلة.

هدّد كبير القضاة اللورد بينغهام قائلا: "لأكثر من نصف قرن، اعتبر القانون العام الإنجليزي التعذيب وما ينتج عنه شيئا بغيضا".

ومع ذلك، فإن قرار مجلس اللوردات لم يمنع وزراء الحكومة من استغلال مثل هذه النصوص بطرق أخرى. قال أحد القضاة، وهو اللورد براون، إنه لم يكن من حق الحكومة استخدام ما وصفه بـ"ثمرة الشجرة المسمومة" فحسب، بل إنها تتحمل مسؤولية القيام بذلك لحماية أمن البلاد. حينها بدأت أفهم أن الحكومة البريطانية لن تتردد في ممارسة تلك الصلاحيات.

بعد خمسة أيام من صدور حكم مجلس اللوردات، أدلى وزير الخارجية جاك سترو بشهادته أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس العموم.

ولدى سؤاله عن استخدام وكالة المخابرات المركزية لمطارات المملكة المتحدة والمزاعم حول تورط

المملكة المتحدة في برنامج التسليم، أجاب: "لا أريد أن نبدأ جميعًا في الإيمان بنظريات المؤامرة وأن المسؤولين يكذبون، وأنني أكذب، وأن وراء كل هذه القضية حكومة سرية ترتبط ببعض قوى الظلام في الولايات المتحدة، ودعوني أقول أيضًا، أن البعض يعتقد أن الوزيرة [كوندوليزا] رايس تكذب. بكل بساطة، هذه الادعاءات القائلة بأن المملكة المتحدة متورطة في عملية التسليم كاذبة، لأننا لم نفعل ذلك حقا".

لابد أن ستروكان واثقًا جدًا من أن الحقائق لن تظهر لاحقًا. في السنة التالية، بدأت لجنة الاستخبارات والأمن التابعة للبرلمان البريطاني، والتي كان من المفترض أن تشرف على وكالات الاستخبارات، تنظر في الأمر.

بعد عدد من جلسات الاستماع السرية، خلصت لجنة التحقيق الدولية في تموز/ يوليو 2007 إلى أن وكالتي المخابرات البريطانية، القسم الخامس والسادس في هيئة المخابرات العسكرية (إم أي 5) و (إم أي 6)، كانتا مذنبتين لكونهما لم تكتشفا بسرعة النمط الجديد لعمليات الترحيل السري التي تقوم بها وكالة المخابرات المركزية.

سيظهر في النهاية أنّ هذا غير صحيح تمامًا. ولكن في السنوات القليلة المقبلة، كان ضباط هيئة المخابرات العسكرية (إم أي 5) و(إم أي 6) يشيرون إلى تقرير مركز الدراسات الدولي، ويقولون للصحفيين: "لقد حصلنا على شهادة السلامة".

البصرة وهلمند

في غضون ذلك، بدأ البريطانيون في جنوب العراق يواجهون تمردا مسلحا، غير متوقع على الأرجح، بقيادة المرجع الشيعي مقتدى الصدر.

كان البريطانيون قد أصبحوا في عداء مع الكثير من سكان البصرة. وفي ظل يأسهم من جمع معلومات استخبارية عن جيش المهدي التابع للصدر، لجؤوا إلى الاستجوابات العنيفة. دقّ المحامون في الصليب الأحمر والجيش البريطاني ناقوس الخطر حيال تلك الممارسات، لكن عددًا من الأشخاص لقوا حتفهم بعد احتجازهم لدى القوات البريطانية.

وأثبت تحقيق أجري في وقت لاحق أن موظف استقبال في أحد الفنادق يُدعى بهاء موسى، أصيب 93 إصابة متفرقة قبل وفاته بعد 36 ساعة من الاستجواب.

وقال ضابط كبير بالمخابرات العسكرية للجنة التحقيق إن الأمريكيين اعتقدوا أن أساليب الاستجواب البريطانية كانت معتدلة للغاية ولم تسفر عن أيّ أضرار.

في أوائل سنة 2007، مع اشتداد الهجمات بقذائف الهاون والقناصة والتفجيرات على جوانب الطرق، أعيدت صياغة قواعد الاشتباك، حيث صدرت تعليمات للقوات البريطانية في البصرة بإطلاق النار على أي مدني يحمل هاتفًا محمولًا أو مجرفة، أو لوحظت عليه تصرفات مريبة.

في نهاية المطاف، عقد البريطانيون صفقة مع الميليشيات لإطلاق سراح السجناء مقابل وقف الهجمات على قواعدهم. ثم تراجعوا نحو مطار في ضواحي المدينة.

في لندن، كان مسؤولو الدفاع يتهامسون عمّا إذا كان بإمكانهم استخدام مصطلح "الهزيمة الاستراتيجية" علنًا عند مناقشة الحرب العراقيّة. في أفغانستان، لم تكن الحرب تسير بشكل أفضل.

في أوائل سنة 2005، قرر الناتو توسيع نطاق التزامه في أفغانستان. بحلول ذلك الوقت، شعر الوزراء في حكومة توني بلير والمسؤولون في وزارة الدفاع، بأن المملكة المتحدة لا تقدّم أفضل ما عندها في البلاد. وفي غضون ذلك، كان كبار ضباط الجيش متحمسين لغضّ الطرف عن الإخفاقات على الساحة العراقية وإطلاق حملة جديدة. تمّ التغاضي عمدا عن حقيقة أن المخططات الدفاعية البريطانية كانت تقوم على أن البلاد لا يمكنها خوض حربين في وقت واحد.

بعد إجراء تحقيق رسمي بريطاني حول الحرب في العراق، قال رئيس اللجنة السير جون شيلكوت، وهو موظف حكومي سابق رفيع المستوى: "عندما قررت القيام بعمليات متزامنة في العراق وأفغانستان، تجاوزت حكومة المملكة المتحدة عن عمد المخططات الدفاعية. سيتمّ استنفاذ جميع الموارد من هنا فصاعدا".

وقالت وزارة الدفاع لشيلكوت إنها لا تستطيع تفسير هذا القرار، وهو ما وصفه شيلكوت بأنه رد "غير مقبول".

أعلنت الحكومة البريطانية في نيسان/ أبريل 2006 أنها ستوسع جهود إعادة الإعمار في هلمند، جنوبي أفغانستان، حيث يُزرع ما يقرب من نصف محصول الخشخاش في البلاد، على الرغم من علمها بأنها تفتقر إلى الموارد اللازمة.

وقال قائد الجيش البريطاني ريتشارد دانات، للسفير البريطاني في كابول إنه إذا لم يرسل قوات إلى هلمند، في الوقت الذي تراجع فيه عدد قواته في العراق وتقلّصت العمليات في أيرلندا الشمالية، فقد كانت أعداد القوات في أفغانستان ستُخفض. وقد نُقل عنه أنه قال: "إما أن نستخدمهم أو أن نخسرهم".

جُمعت قوة قوامها 3300 جندي، وقال لي أحد الضباط الذين أشرفوا على تلك القوة: "كان الكنديون قد سيطروا على قندهار، ويبدو أن ما كانت تفكر فيه وزارة الدفاع [في لندن] هو أنها يجب أن تسيطر على قندهار".

ويضيف: "قررنا الذهاب إلى هلمند بدلاً من ذلك، وبعد اتخاذ القرار بالذهاب إلى هناك، أعلنت الحكومة أن سبب ذهابنا هو القضاء على الخشخاش. لقد ألقينا نظرة واحدة حولنا وقررنا أننا لا نستطيع أن نقضي على الخشخاش. إذا تسببنا في تدمير مصدر عيش هؤلاء الناس، سيؤدي ذلك بالتأكيد إلى تأجيج التمرد. لكننا بدأنا نتلقى وابلا من الرصاص على أي حال، بعد وقت قصير من وصولنا".

تم جمع القوة القتالية حول جنود كتيبة من فوج المظليين، وهي وحدة تجنح إلى العنف في تدريبها وثقافتها ربما أكثر من أي وحدة أخرى في الجيش البريطاني.

لطالما قيل إن من يطلق النار هي حركة طالبان، كما يؤكد الجنود الشباب، لكنهم يتغاضون تمامًا عن العلاقات المعقدة والتنافس بين الجماعات التي كانوا يقاتلونها. وسرعان ما تحولت "جهود إعادة الإعمار" إلى سلسلة من المواجهات العنيفة وبدأ عدد الجثث يتزايد، خاصة في صفوف الأفغان.

غوانتانامو وعمليات التعذيب

بالعودة إلى لندن، بدأت الدعوى المرفوعة نيابة عن أحد سكان المملكة المتحدة المسجونين في غوانتانامو، بنيام محمد، في تقديم لمحة عن مدى تورط وكالات المخابرات البريطانية في برنامج الترحيل السري.

استمعت المحكمة إلى شهادة بأن وكالة (إم أي 5) أرسلت ضابطا إلى كراتشي بعد أن أبلغتها وكالة المخابرات المركزية بالمعاملة السيئة التي تعرض لها محمد وكيف كانت إجاباته. سافر ضباط المخابرات العسكرية من وكالتي (إم أي 5) و (إم أي 6) بعد ذلك إلى غوانتانامو لمقابلة محمد والعديد من السجناء الآخرين.

قضت المحاكم بأن جهاز المخابرات العسكرية (إم أي 5) قد "تجاوزت حدود صلاحياتها في الرد على المخالفة المزعومة".

في غضون ذلك، تزايد قلق الحكومة البريطانية بشأن التهديد الذي يشكله إرهابيو القاعدة، حيث قام انتحاريان من بين الأربعة الذين قتلوا 52 شخصًا وأصابوا 700 في شبكة المترو بلندن في تموز/ يوليو 2005 بتسجيل مقاطع فيديو صرحوا فيها بأنهم نفذوا الهجمات بسبب الحرب في أفغانستان والعراق.

فقد أحد الموقوفين، الذي يقضي حاليا عقوبة بالسجن المؤبد، ثلاثة من أظافره بعد أن قام ضباط (إم أي 6) والشرطة في مانشستر بوضع قائمة بالأسئلة التي يجب أن يجيب عليها، وقد نقلها ضباط (إم أي 6) إلى وكالة المخابرات الباكستانية سيئة السمعة.

وخلال محاكمتين منفصلتين في لندن ومانشستر، زعم متهمون احتُجزوا في باكستان قبل ترحيلهم إلى المملكة المتحدة أنهم تعرضوا للتعذيب بشكل متكرر، وأن ضباط (إم أي 5) و (إم أي 6) قاموا بزيارتهم بين جلسات التعذيب، وطرحوا نفس الأسئلة التي طرحها عليهم جلادوهم الباكستانيون.

فقد أحد هؤلاء الموقوفين، وهو رانغزيب أحمد، الذي يقضي حاليا عقوبة بالسجن المؤبد، ثلاثة من أظافره بعد أن قام ضباط (إم أي 6) والشرطة في مانشستر بوضع قائمة بالأسئلة التي يجب أن يجيب عليها، وقد نقلها ضباط (إم أي 6) إلى وكالة المخابرات الباكستانية سيئة السمعة. عندما تم استدعاء الوكالتين للتعليق على هذه الادعاءات، تم إخراج الصحافة والجمهور من قاعة المحكمة.

كان محققو مكافحة الإرهاب حذرين للغاية بشأن قضية أحمد لدرجة أن أحدهم اتصل بي وأخبرني أنه لا ينبغي أن أُبلغ عن تعرض أحمد للتعذيب، وهددني بأنني إذا فعلت ذلك، فسوف يلحق بي أذى بطريقة شنيعة.

كان هناك المزيد من حالات التعذيب في مصر ودبي. مرة أخرى، لم يكن واضحا في البداية إن كانت أجهزة المخابرات والأمن البريطانية تعمل بموجب تعليمات حكومية تسمح لها بالمشاركة في عمليات التعذيب، لكن ذلك بدا جليا في وقت لاحق.

سافرتُ إلى باكستان وبنغلاديش، وعلمت على التحقق من الأمر بشكل أفضل. في بعض الأحيان، يؤكد ضباط المخابرات في البلدين أن مزاعم التعذيب صحيحة، ويتحدثون عن الضغط الهائل الذي تعرضوا له من نظرائهم الأمريكيين والبريطانيين.

قال أحد ضباط المخابرات المسؤولين عن تعذيب طالب طب بريطاني باكستاني في كراتشي سنة 2005 إن البريطانيين كانوا يضغطون علينا من أجل الحصول على معلومات".

لم تحقق الحكومة البريطانية أبدًا في تفاصيل أي ادعاء بالتورط في عمليات التعذيب. بدلاً من ذلك، تراجعت عن شعارها السابق: "تدين الحكومة البريطانية بلا تحفظ استخدام التعذيب، وترتكز سياستها على عدم المشاركة في التعذيب أو تشجيعه أو التغاضي عنه لأي غرض من الأغراض".

بحلول سنة 2009، ومع تراكم القضايا، بدا الإنكار غير مجدٍ. وحفزني ذلك على دفن ذلك الإنكار تحت جبل الأدلة. لقد فوجئت بأن عددا قليلا فقط من زملائي الصحفيين البريطانيين اختاروا التثبت من الادعاءات التي تؤكد بأن المملكة المتحدة ووكالات استخباراتها متورطة في الإساءة إلى المواطنين البريطانيين وآخرين ضمن ما يسمى بالحرب على الإرهاب.

وعد مركز الدراسات الدولي بالنظر في الأمر، وبعد أربعين دقيقة اتصلت ممثلة اللجنة بآلان مرة أخرى وقالت: "لن ننظر في هذه القضية، إنه ليس جزءًا من اختصاصنا".

بالطبع، كان هناك بعض الاستثناءات، مثل ريتشارد نورتون تايلور من صحيفة الغارديان، وديفيد روز من ميل أون صنداي، وستيفن غراي الذي يعمل حاليا في رويترز.

افترضت -دون أن أكون متأكدا من ذلك- أن بعض المحررين تم إقناعهم أن مؤسساتهم الإعلامية لم تركز كثيرا على مزاعم تورط المملكة المتحدة في عمليات التسليم السري الأمريكية.

في مرحلة ما، اتصل محرر صحيفة الغارديان آلان روسبريدغر بمركز الدراسات الدولي وأشار إلى أنه لم يكن من المناسب أن يحقق الصحفيون لوحدهم في هذه الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان.

وعد مركز الدراسات الدولي بالنظر في الأمر، وبعد أربعين دقيقة اتصلت ممثلة اللجنة بآلان مرة أخرى وقالت: "لن ننظر في هذه القضية، إنه ليس جزءًا من اختصاصنا". مرة أخرى، كان هذا مخالفا للوقائع.

التعمق في البحث

بدأت في التعمق بالبحث أكثر فأكثر. وجدت دليًلا يثبت أنّ ادعاءات ضباط (إم أي 5) (إم أي 6) بـ" التباطؤ في اكتشاف النمط الجديد" من عمليات الترحيل السري التي قامت بها وكالة المخابرات المركزية كانت باطلة.

في اليوم التالي لأحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، توجهت المديرة العامة لوكالة (إم أي 5) إليزا مانينغهام بولر، ورئيس وكالة (إم أي 6) ريتشارد ديرلوف، ورئيس مكاتب الاتصالات الحكومية البريطانية فرانسيس ريتشاردز، إلى واشنطن على متن طائرة من طراز دي سي 10. كان كبار ضباط الاستخبارات البريطانية هناك لإيصال رسالة مفادها أنه سيكون هناك تضامن بريطاني كامل.

من خلال قراءة مذكرات ضابطين سابقين في وكالة المخابرات المركزية، أحدهما مديرها السابق جورج تينيت، ومذكرات مستشار بلير أليستر كامبل، وخطاب مانينغهام بولر، كان من الممكن جمع معطيات كافية لكشف الحقيقة.

بعد أربعة أيام من تلك الزيارة، أرسلت وكالة المخابرات المركزية وفدًا إلى السفارة البريطانية في واشنطن لتقديم تقرير إلى (إم أي 6) حول برنامج التسليم الذي كان على وشك أن يبدأ.

كان من الممكن التعرف على بعض ضباط وكالة المخابرات المركزية في المؤتمر الصحفي. كان أحدهم قد تقاعد في الوقت الذي جُمعت فيه الأدلة، وما أثار دهشتي أنه كان موجودًا في منزله في ضواحي فيرجينيا.

اتصلت به و قدمت نفسي وسألت عما إذا كان بإمكانه مدّي بأسماء ضباط (إم أي 6) الذين كانوا حاضرين أثناء تقديم التقرير. ما أثار دهشتي أنه قال لي إن "أحدهم كان مارك ألين. والآخر كان ذلك الخبير الكبير في الشأن السوفييتي – ما اسمه؟".

لم يكن لدي أيّة فكرة، حيث أن المملكة المتحدة ليست مثل الولايات المتحدة. حتى سنوات قليلة مضت، كانت أسماء رؤساء الأجهزة من الأسرار الرسمية.

بحلول منتصف 2009، كان من الممكن من خلال القراءة المتأنية للتقارير السنوية لمركز الدراسات الدولي، معرفة أنه عندما استجوب ضباط (إم أي 5) و(إم أي 6) السجناء الذين كانوا معرضين لخطر التعذيب، لم يكونوا يتصرفون دون تفويض. كانوا يعملون وفقًا لوثيقة توجيهية تمت صياغتها بعناية في إطار سياسة التعذيب التي تتبعها الحكومة البريطانية.

أوضح تقرير من جهاز الاستخبارات البريطاني أن بلير كان على علم بهذه السياسة. وقد كتبتُ إلى رئيس الوزراء السابق، لسؤاله عما إذا كان على علم بأن هذه السياسة قد أدت إلى تعذيب عدد من السجناء، وعما إذا كان يستطيع أن يخبرني بالمزيد عن دوره في صياغة تلك السياسة.

طلب بلير من شخص ما الرد على رسالتي نافيا أنه سمح بأعمال التعذيب. حسنًا، كان هذا مثيرًا للاهتمام، لقد أنكر ادعاءً لم أقم بتوجيهه إليه، وتهرّب من الإجابة عن سؤالي.

كتبت مرة أخرى، وسألت بلير نفس السؤال. طلب رئيس الوزراء السابق من مساعده الرد مرة أخرى، قائلاً إنه لا يفهم موضوع السؤال.

حاولت للمرة الثالثة، وقد طلبت من محاميين – أحدهما لديه خبرة في المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي – للمساعدة في صياغة الخطاب. مرة أخرى، طلب بلير من مساعده الردّ، نافياً تورطه في السماح بارتكاب أعمال تعذيب.

في بداية 2011، بدأت الحكومة بالكشف عن سلسلة من الوثائق السرية بعد أن رُفعت دعوى قضائية من قبل مجموعة من السجناء البريطانيين السابقين في غوانتانامو.

تباطأ المحامون الحكوميون لأشهر، ثم سنوات، لكن في النهاية، بموجب قوانين الإفصاح المطبقة في القضايا المدنية بالمملكة المتحدة، كان عليهم تقديم بعض الكشف عن بعض الوثائق ذات الصلة.

تقدمتُ بطلب إلى المحكمة للحصول على نسخ منها وحصلت على إذن بذلك. تسملت حمولة كبيرة من الأوراق، وبدا أن المستندات قد تم خلطها، واستغرق فرزها أيامًا.

كان من بين الوثائق برقية أرسلها جاك سترو إلى بعثات حكومية مختلفة، يأمر فيها بإرسال المسلمين البريطانيين الذين تم اعتقالهم في أفغانستان بعد الحادي عشر من سبتمبر إلى غوانتانامو.

تم إرسال البرقية في يناير 2002، خلال الأسبوع الذي افتتح فيه معسكر "إكس ري"، وأيضًا خلال نفس

الأسبوع الذي قام فيه وزير الدفاع البريطاني جيف هون باستقطاب عدد من الضباط الذين عملوا كمحققين في أفغانستان والعراق.

كانت إحدى الوثائق الصادرة في يناير 2002، تفيد بأن ضباطا من (إم أي 5) شاهدوا الأمريكيين يضربون سجناء في قاعدتهم المنشأة حديثًا في باغرام شمال كابول، وسألوا عن موقفهم القانوني إذا كانوا سيستجوبون الضحايا.

يبدو أن توني بلير، أو الأشخاص المقربون منه، اتخذوا قرارًا بخلع القفازات في أوائل يناير 2002. كانت "سياسة التعذيب" في المملكة المتحدة مخفية بين ثنايا الوثائق السرية التي حصلت عليها. كانت إحدى الوثائق الصادرة في يناير 2002، تفيد بأن ضباطا من (إم أي 5) شاهدوا الأمريكيين يضربون سجناء في قاعدتهم المنشأة حديثًا في باغرام شمال كابول، وسألوا عن موقفهم القانوني إذا كانوا سيستجوبون الضحايا.

استندت المسودة إلى وثيقة وزارة الدفاع التي تم إعدادها لأفراد الجيش البريطاني الذين قد يجدون أنفسهم في وضع مماثل، حيث يشاهدون الحلفاء وهم يعذبون السجناء. تمت صياغة نسخ منقحة في عامي 2004 و2006، قبل وقت قصير اعتقال متشددين بريطانيين مشتبه بهم وتعذيبهم في باكستان.

كانت وثيقة مهمة حقًا. صدرت تعليمات لكبار ضباط المخابرات بتحقيق التوازن بين قيمة المعلومات التي كانوا يسعون إليها مقابل درجة الألم التي قد يعانيها السجين عند انتزاعها.

وأقرت الوثيقة بأن (إم أي 5) و(إم أي 6) يمكن أن ينتهكا القانونين البريطاني والدولي عندما يطلبان معلومات من سجناء تحتجزهم وكالات استخبارات خارجية معروفة باستخدامها للتعذيب.

عمليات مشتركة مع القذافي

شهدت الانتخابات العامة في المملكة المتحدة سنة 2010 تشكيل حكومة ائتلافية من حزب المحافظين والليبراليين الديمقراطيين، وأصبح حزب العمال خارج السلطة بعد 13 سنة.

كانت إحدى الخطوات الأولى لرئيس الوزراء الجديد ديفيد كاميرون هي الإعلان عن تشكيل لجنة تحقيق بقيادة قاضٍ لفحص تورط المملكة المتحدة في عمليات التسليم وسوء معاملة المحتجزين بعد أحداث 11 سبتمبر.

في أواخر السنة الموالية، ظهر أوضح دليل على هذا التورط أثناء الثورة الليبية. أثناء البحث في مكاتب موسى كوسا، رئيس المخابرات السابق للبلاد، اكتشف باحث من هيومن رايتس ووتش كنزًا من الوثائق السرية التي كشفت الطرق التي دبرت بها وكالة المخابرات المركزية و(إم أي 6) عددًا من العمليات التي أدت إلى اختطاف وتسليم عدد من معارضي معمر القذافي.

كان من بين الضحايا رجل وزوجته الحامل اختُطفا في بانكوك سنة 2004، وزوج وزوجة وأربعة أطفال، أصغرهم في السادسة من العمر، تم جمعهم على متن طائرة في هونغ كونغ بعد أسبوعين.

تم نقلهم جميعًا إلى طرابلس، وما بين العمليتين، قام بلير بزيارته الأولى إلى ليبيا واحتضن القذافي وقال إنهم وجدوا قواسم مشتركة في الحرب على الإرهاب. وبينما تم الإفراج عن النساء والأطفال في وقت وجيز، أمضى الرجلان – عبد الحكيم بلحاج وسامي السعدي – سنوات في سجون القذافي وتعرضا لتعذيب شديد.

أخبرتني زوجة بلحاج، فاطمة بودشار، كيف تم تكبيلها من رأسها حتى أخمص قدميها في الرحلة التي استغرقت 17 ساعة إلى طرابلس. وروت خديجة، الابنة الكبرى للسعدي، كيف رأت والدتها ووالدها مقيّدين بالأسلاك عندما هبطت الطائرة.

من بين الوثائق التي عثرت عليها هيومن رايتس ووتش فاكسات موقعة من مارك ألين، ذكر فيها كوسا بأن مكتب (إم أي 6) قدم معلومات استخبارية سمحت باختطاف العائلات.

كانت هناك أيضًا قوائم بالأسئلة التي أراد (إم أي 5) و(إم أي 6) طرحها على الرجلين. لاحقا، تم استخدام المعلومات التي انتزعها جلادو القذافي لتبرير اعتقال المعارضين الليبيين الذين يعيشون في المملكة المتحدة.

أصبح تحقيق الشرطة حينها ضرورة ملحة، ولكن عندما بدأ محققو سكوتلاند يارد في إجراءاتهم، علقت الحكومة التحقيق الذي يقوده القضاة، قائلة إنه لا يمكن أن يستمر التحقيقان معا.

بعد عدة سنوات من عملي الاستقصائي للكشف عن جرائم الحكومة البريطانية، لم أتفاجأ على الإطلاق. كنت سأندهش إذا أوصت النيابة العامة بتوجيه الاتهام إلى ألين.

قضّت الشرطة أكثر من ثلاث سنوات في التحقيق، واستُجوب جاك سترو كشاهد. أخيرًا، تم تسليم الملف إلى دائرة الادعاء الملكية، وكان هناك الكثير من الأدلة التي تدين ألين، وقد أصبح حينذاك السير

مارك ألين، بعد حصوله على لقب فارس.

قرر المدعون أن الأدلة لم تكن كافية لتوجيه أي اتهامات، وأصيب الضحايا وضباط الشرطة بالذهول والغضب.

الآن، بعد عدة سنوات من عملي الاستقصائي للكشف عن جرائم الحكومة البريطانية، لم أتفاجأ على الإطلاق. كنت سأندهش إذا أوصت النيابة العامة بتوجيه الاتهام إلى ألين.

بعد أن رفع سامي السعدي وعائلته دعوى ضد الحكومة البريطانية، تمت تسوية الأمر خارج المحكمة. تم دفع 2.2 مليون جنيه إسترليني للعائلة، لكن الحكومة لم تعترف بالمسؤولية.

كان بلحاج صادقا عندما قال إنه سيقبل مبلغًا رمزيًا قدره 3 جنيهات إسترلينية كتعويض عن الأضرار، ولكن بشرط أن تعتذر الحكومة البريطانية له ولزوجته. جاء هذا الاعتذار أخيرًا سنة 2018، من تيريزا ماي، التي كانت آنذاك رئيسة للوزراء.

في غضون ذلك، كانت لجنة الاستخبارات والأمن في البرلمان تجري أخيرا تحقيقا جديا في تورط المملكة المتحدة بعمليات الاختطاف والتعذيب، برئاسة دومينيك غريف، المدعي العام السابق الذي يحظى باحترام واسع في إنجلترا وويلز.

في حزيران/ يونيو 2018، أفادت لجنة الاستخبارات والأمن بالبرلمان أنها مُنعت من استجواب الشهود وأن الوثائق من بعض الفترات كانت مفقودة بشكل غير مبرر. وأشار التقرير إلى أن "السجلات الرسمية مفقودة على الأقل خلال الفترة المثيرة للقلق".

لم يكن (إم أي 5) و(إم أي 6) وحدهما المتورطين في الانتهاكات. تبيّن أن وكالة المخابرات البريطانية، التي زعمت لسنوات أنها تمتلك أياد نظيفة، ساعدت وكالة المخابرات المركزية في تحديد هوية عدد من الأشخاص الذين تم اختطافهم وتعذيبهم لاحقًا.

مع ذلك، قالت اللجنة إنه في السنوات التسعة التي تلت أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، قدمت وكالات المخابرات البريطانية استجوابات إلى شركاء في الخارج في 558 مناسبة على الأقل، على الرغم من علمها أو الاشتباه في تعرض سجناء للتعذيب؛ وشاركت في 53 عملية تسليم – ومولت ثلاثًا منها – كما كان الضباط شهودًا على التعذيب أو سوء المعاملة في 13 مناسبة على الأقل.

وبعيدًا عن اعتبار مزاعم تورط المملكة المتحدة في عمليات التسليم جزءا من نظرية مؤامرة – كما قال جاك سترو للبرلمان سنة 2006 – وجدت لجنة خدمة الإنترنت أن سترو قد سمح شخصيًا بدفع مبلغ مالي لتسليم شخصين في 2004.

لم يكن (إم أي 5) و(إم أي 6) وحدهما المتورطين في الانتهاكات. تبيّن أن وكالة المخابرات البريطانية، التي زعمت لسنوات أنها تمتلك أياد نظيفة، ساعدت وكالة المخابرات المركزية في تحديد هوية عدد من الأشخاص الذين تم اختطافهم وتعذيبهم لاحقًا.

وأظهرت فقرة قصيرة في تقرير مركز الدراسات الدولي أنه في ذروة فضيحة أبو غريب، قررت وزارة الدفاع إرسال فريق من المحققين العسكريين البريطانيين إلى السجن.

على الرغم من تنقيح التقرير قبل نشره، كان من الممكن معرفة أن اللجنة أثبتت أنه في يناير 2002، كان ضابط في (إم أي 6) قد شاهد قيام المخابرات المركزية الأمريكية بوضع ابن الشيخ الليبي، السجين في قاعدة باغرام آنذاك، داخل تابوت قبل أن يتم إرساله إلى مصر.

ويقول التقرير إن جهاز (إم أي 5) قدم لاحقًا أسئلة ليتم طرحها على الليبي في مصر. واستُخدمت ادعاءات الليبي الكاذبة بأن هناك صلة بين صدام حسين والقاعدة، من قبل حكومتي الولايات المتحدة

والمملكة المتحد كجزء من مبررات غزو العراق سنة 2003.

ثبت أن الشعار الذي روجت له حكومة جلالة الملكة بأنها "تدين بلا تحفظ استخدام التعذيب" ولا تشارك في التعذيب أو تتغاضى عنه، كذبة جوفاء.

أجساد وعقول محطمة

سنة 2010، كنت أذهب بشكل متكرر إلى الجناح العسكري في مستشفى سيلي أوك في برمنغهام لزيارة صديق فقد ساقيه بسبب عبوة ناسفة بدائية في هلمند.

بين الأسرّة، جلس الجنود الشباب المشوهون. أجساد وعقول محطمة، وأرواح مفقودة. تكررت هذه المآسي في جميع أنحاء أفغانستان والعراق وفي منازل ومستشفيات لا حصر لها في الولايات المتحدة والدول الحليفة.

تختلف تقديرات عدد القتلى في العراق بين سنتي 2001 و2014 بشكل كبير من حوالي 150 ألفا إلى أكثر من 450 ألف قتيل، ولا أحد يعرف حقًا عدد المصابين. وبعد في أعقاب ظهور تنظيم الدولة الإسلامية، قُتل وشُوّه آلاف آخرون.

وفقًا لمعهد واتسون للشؤون الدولية والعامة بجامعة براون، فقد أكثر من 175 ألف شخص حياتهم في أفغانستان، حتى قبل أن تبدأ حركة طالبان تقدمها السريع في جميع أنحاء البلاد في وقت سابق من هذا العام. كان أكثر من 50 ألفًا من الضحايا من المدنيين، وتشير التقديرات إلى مقتل 66 ألف شخص آخرين عبر الحدود في باكستان.

في وقت سابق من هذا العام، أمر الرئيس الأمريكي جو بايدن بانسحاب جميع القوات الأمريكية من أفغانستان بحلول 31 آب/ أغسطس، ولا أحد يعرف كان يعرف ما الذي سيحدث لاحقا.

بحلول شهر تموز/ يوليو، كان من الواضح أن الولايات المتحدة جادة بشأن الرحيل قبل الذكرى العشرين لهجمات 11 أيلول/ سبتمبر. في بداية الشهر، خرجت القوات الأمريكية من قاعدة باغرام في جوف الليل، ولم تخبر القوات الأفغانية بأنها ستغادر، وقامت حرفيا بإطفاء الأنوار عند الخروج.

انسحبت معظم القوات البريطانية من العراق سنة 2011، ومن أفغانستان بعد ثلاث سنوات. بعد يومين من مغادرة القوات الأمريكية قاعدة باغرام، أعلنت الحكومة البريطانية أيضًا سحب قواتها المتبقية من البلاد. في الواقع، كانت مراسم إنزال العلم قد جرت بالفعل بشكل غير علني.

أدى الإجلاء السريع لـ 2500 جندي أمريكي من البلاد – والأهم من ذلك، انسحاب الغطاء الجوي الأمريكي – إلى انهيار معنويات الحكومة الأفغانية والروح القتالية لقواتها.

سقطت مقاطعات شمال سريعا بيد طالبان، بما في ذلك المراكز الحدودية التي تتحكم في الممر الجديد الذي يمتد من بانج إلى طاجيكستان. ثم استسلمت المدن واحدة تلو الأخرى، أحيانًا بعد معارك ضارية وأحيانًا باتباع التقاليد الأفغانية العريقة في المفاوضات بين القوى المتصارعة.

في واشنطن ولندن، اعتقد القادة السياسيون أن صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل لأنهم أرادوا تصديق ذلك، وليس بسبب وجود أي معلومات استخباراتية تدعم هذا الاحتمال.

أخيرًا، دخلت طالبان إلى كابول وتراجعت القوات الأمريكية إلى محيط مطار المدينة، وفرّ الآلاف أملا في إنقاذهم.

وسط المشاهد البائسة والمروعة لتلك الأيام الأخيرة، سقط شباب أفغان من الطائرات، ومات آخر في المجاري المفتوحة، بينما تم إيصال القطط والكلاب إلى بر الأمان.

في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر مباشرة، اعتقد الكثير من الناس حول العالم أنه من المحتم أن تتحرك الولايات المتحدة للإطاحة بنظام طالبان الذي منح القاعدة الوقت والمساحة للتخطيط للهجمات.

لكن أحد مؤرخي الحرب في أفغانستان يشير إلى أنه كان على الولايات المتحدة والمملكة المتحدة مغادرة البلاد على الفور، سنة 2002 أو أوائل سنة 2003، عندما كانوا متقدمين على الأرض. بدلاً من ذلك، بقيت الولايات المتحدة وبريطانيا هناك وخاضتا حربًا لا يمكن فيها تحقيق النصر.

كان العراق يشكل كارثة أخرى، لأن الخطط كانت خاطئة تمامًا والمبررات الرسمية لخوضها لم تكن صحيحة.

في واشنطن ولندن، اعتقد القادة السياسيون أن صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل لأنهم أرادوا تصديق ذلك، وليس بسبب وجود أي معلومات استخباراتية تدعم هذا الاحتمال.

كانت الصلات المزعومة بين صدام والقاعدة كذبة أخرى تستند جزئيًا إلى عملية تعذيب السجين الليبي.

بالنظر إلى المآسي وأعداد القتلى والمشوهين والمرضى النفسيين، دعونا لا ننسى أن أن المسؤولين في البيت الأبيض أو داونينغ ستريت لم يعترفوا بارتكاب أي أخطاء.

كان تقرير السير جون شيلكوت، عندما نُشر في 2016، بعد أكثر من 13 عامًا من الغزو، ينتقد بشدة الحكومة البريطانية. لقد كان التقرير حديث الرأي العام في المملكة المتحدة، ثم عادت وسائل الإعلام البريطانية إلى التركيز على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

خلال الأيام الأخيرة، شن تنظيم ولاية خراسان هجمات انتحارية وصاروخية في كابول. وفي غوانتنامو، مازال السجناء معتقلين دون محاكمة، بينما يشكل الجهاديون خطرا حقيقيا من غرب إفريقيا إلى جنوب شرق آسيا.

يصر بايدن على أن أيام تحرك القوات الأمريكية لمسافات بعيدة والدفاع عن القيم بالقوة العسكرية قد

وات. مع ذلك، وعد الرئيس الأمريكي بالانتقام من التفجيرات الانتحارية، ولا يزال الأطفال الأفغان يُقتلون بالقنابل الأمريكية التي تسقط على منازل عائلاتهم.

يبدو أن هذه الحروب الأبدية لم تنته بعد.

المصدر: ميدل إيست آي

رابط المقال: https://www.noonpost.com/41749/